

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلمة السادسة

الأردن

التعليم ما قبل المدرسة في الإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أرحب بكن في هذا المؤتمر المهم وأشكر مستضيفاتنا، أخواتنا في إندونيسيا ذلك البلد الذي دخل أهله في الإسلام عن طريق التجار بلا حرب ولا قتال، واستضاف عددا من مؤتمرات الخلافة، والشكر موصول إلى القسم النسائي في الحزب اللواتي أشرفن على إنجاز هذا المؤتمر وبارك الله بالجميع وجعله في ميزان حسناتكن...

أخواتي العزيزات:

يشكل التعليم ما قبل المدرسة في السنوات الخمس أو الست الأولى من عمر الطفل الركيزة الأولى في تكوين شخصيته، ويكون فيها للوالدين تأثير كبير، ويُضاف إليهما تأثير المعلمة عندما يذهب الطفل إلى الروضة.

وقد اعتنى الإسلام بهذه المرحلة لأهميتها، واهتم بأن تكون العقيدة الإسلامية هي أساس منهج التعليم، فتوضع مواد الدراسة وطرق التدريس جميعها على الوجه الذي لا يُحدث أي خروج في التعليم على هذا الأساس، بحيث تتحقق أهداف التعليم ما قبل المدرسة والمراحل التي تلحقها في بناء الشخصية الإسلامية بتكوين العقلية الإسلامية والنفسية الإسلامية، وتمكين الطفل من التعامل مع البيئة المحيطة به.

منهج التعليم في مرحلة ما قبل المدرسة

في مواد الدراسة يجب الاهتمام بتكوين حصيلة لغوية للطفل بالإكثار من التحدث إليه وتشجيعه على التعبير عما في نفسه بالكلام والحرص على النطق السليم للحرف وتحفيظه بعض السور من القرآن والأناشيد وقراءة القصص، ولا بد من الاهتمام بتعليم الطفل أجزاء جسمه وكيف يعبر عن انفعالاته وشرح الصلة بينه وبين أقرابه، وعند تعليمه الكتابة والحروف وجب ربطها بأشياء مادية ومفاهيم إسلامية، كما يجب الاهتمام بأسئلة الطفل والإجابة عليها إجابة واضحة وصحيحة ومقنعة، وأن تُؤخذ أسئلته مأخذ الجد... كما ينبغي تعليمه الاتجاهات والأطوال والأحجام وفوائد الأشياء التي يستعملها وكيفية استخدامها، وإبعاد الأشياء الضارة عنه كالمقص والسكين والغاز وإشعال النار وبيان ضررها وتعليمه كيفية استخدامها فيما لو اضطر إلى ذلك. وأن يتعلم كيف يغسل يديه ووجهه وأسنانه وكيف يلبس ملابسه وحذاءه... الخ وتعليمه البيئة المحيطة به من حيوانات وجمادات وجغرافيا المكان الذي يعيش فيه من جبال وسهول وأنهار، والشمس والقمر والنجوم والمدينة والقرية والحلي وأسرته وأقرابه وجيرانه...

أخواتي حضورا ومشاهدين:

نأتي الآن إلى طريقة التدريس في مرحلة ما قبل المدرسة: يجب الاهتمام بمكونات العقل اهتماما شديدا، فيجب الاهتمام بالدماغ والحواس من حيث اكتمال النمو وعدم وجود أمراض يعاني منها الطفل سواء في الدماغ أو الحواس فيعمل على معالجته إن وُجدت، كما يجب تلبية الحاجات الأساسية للطفل حتى ينمو دماغه وحواسه نموا طبيعيا فيتم الاهتمام بطعامه وشرابه ونظافته وصحته ومعالجة بعض المظاهر المرضية كالمغص أو البكاء والصراخ. وترك الطفل يلهو ويلعب ويتحرك في أماكن آمنة وتحت رقابة المربي حتى تنمو أعضاء جسمه ويتمكن من استخدامها، وأن تختار له الألعاب الكبيرة الحجم في البداية ومع تقدمه في السن يمكن من اللعب بالقطع الصغيرة حتى تتدرب العضلات الصغيرة، وينمو التأزر بين عضلاته وبصره.

ومن الجدير بالذكر أن أفضل طريقة لتعليم الطفل المفاهيم هي الربط بين اللفظ والواقع، فإذا كان الواقع محسوسا وملموسا وحاضرا يتم الربط بينهما مباشرة، فيقال للطفل هذه تفاحة بصوت واضح ونعطيها التفاحة ليلمسها بحاسة اللمس أو يشمها أو يتذوقها، أو هذا كتاب اللغة العربية مع إعطائه الكتاب ليتصفح ويرى ما به، وإذا كان الواقع المادي غير حاضر نري الطفل صورة عنه مع ذكر اسمه، مثلا هذا أسد مع الإشارة إلى صورة الأسد، أو هذا جبل مع الإشارة إلى صورة الجبل، وإذا كان الواقع محسوسا غير ملموس كالجوع والعطش فنربط بين صورة طفل جائع ولفظ الجوع، أو بين صورة طفل عطشان وبين لفظ العطش أو صورة طفل خائف وبين لفظ الخوف وهكذا...، وإذا كان الواقع غير ملموس ولا محسوس ولكن تدل آثاره عليه فنلفت نظر الطفل إلى الآثار ونربط بينها وبين الواقع، فمثلا الله خالق ونربط ذلك بالناس والحيوانات والجمادات والسماء والأرض والقمر وغير ذلك من الأشياء التي تدل على وجود الخالق، أو نربط بين لفظ الكهرباء وبين إنارة اللبنة أو تحريك المروحة، أو بين لفظ الهواء وحركة الأشجار، أو عمل مروحة من الورق وتحريكها أمام وجهه، وإذا كان الواقع مغيبا كالرسل والأنبياء فنتلو على الطفل آيات من القرآن تخبر عنهم. كذلك يجب تعليمه مقياس الحلال والحرام للحكم على الأفعال كأن توضع مثلا صورة لأطفال يقومون بأعمال مختلفة ويتم تصنيفها حسب الحلال والحرام...

نعم.. إن الطريقة في الإسلام ثابتة وهي الخطاب الفكري والتلقي الفكري، أما الأساليب والوسائل فهي متغيرة ومتنوعة، كالتلقين والتكرار والحوار والمناقشة والقصة والمحاكاة وحل المشكلات وإجراء التجارب والتدريب العملي المباشر... وكثيرا ما يحتاج الأسلوب إلى وسيلة أو أكثر للقيام بالعمل... فمثلا كان الخطاب والتلقي الفكريين يتم بالقلم والورقة والمشاهدة والتقليد والكتابة، لكنها اليوم تتم بالصور المطبوعة والمتحركة والأشرطة الصوتية والتجارب في المختبرات، كما يمكن استخدام الطريقة العلمية في تعليمه خواص الأشياء بتذوقها كتذوق المالح والحامض والحر والبارد والمر والحلو أو شمها كشم العطور والورود. ولا بد من الحرص على غرس الأساسيات الأولى للقيم الأربع وهي القيم الروحية بربطهم منذ الصغر بالعبادة الإسلامية وتعاليم الشريعة من عبادات وأخلاق وملبوسات ومطعمات ومعاملات. والإنسانية بتعليم الأطفال الروابط الأسرية بتعليمه مفاهيم الأقارب والإحسان إليهم واحترامهم، وتعليمهم معنى الجيران والأصدقاء والإحسان إليهم والتعاون معهم. والخلقية بتربية الأولاد منذ الصغر على الأخلاق الإسلامية. والمادية بتعليم الطفل كيفية الاهتمام بصحته ونظافته وقوته البدنية والحديث معه عن المستقبل والعمل الذي يريد امتهانه ومساعدته في اتخاذ الخطوات الأولى لتحقيق ذلك حتى تنمو شخصية الطفل فيما بعد نموا سويا...

أخواتي الكريمات:

كثيرا ما نشكو من العصيان والتمرد لدى الأطفال، فكيف يمكن التأثير عليهم في الإسلام ليقوموا بما طلب منهم من غير تبرم أو غضب؟

كنا نستخدم القدوة والقصة في التأثير على الأطفال ولكن اليوم هناك أساليب جديدة في التأثير عليهم منها معرفة نمط التفكير عند الطفل إن كان بصريا أو سمعيا أو حسيا، وأسلوب آخر هو معرفة مفاتيح الحوار معه: هل هو من الناس الذين يفضلون الحصول على المتعة أم من الذين يركزون على تجنب الألم؟ هل هو من الذين يتأثرون بكلام الآخرين حولهم أم بحديث أنفسهم؟ هل هو من الذين يهتمون بمصالحهم الخاصة أو مصالح الآخرين؟ وهل هو من الذين يركزون على أوجه الخلاف أم أوجه التشابه بين الأشياء؟ وهل هو من الذين يقتنعون بسرعة من مرة واحدة، أم من الذين يحتاجون كل مرة إلى إقناع؟ وهل هو من الناس الذين يقومون بأنشطتهم مضطرين، أم الرغبة تدفعهم لذلك؟ وكل صنف من هؤلاء له مدخل للحديث.

وهناك أسلوب ثالث بأن نترك مجالاً للطفل للحديث عن نفسه وطموحاته وأحلامه، وأن نساعد في تحقيقها ونضعه على الخطوة الأولى لتحقيقها، وأن نعلمه كيف يتحكم في مشاعره.

كما لا بد للمربين من إدراك أهمية الأوامر الفعالة، أي في كيفية طرح الأمر على الطفل بأن يستخدم اللطف في الطلب ككلمة "من فضلك" أو "لو سمحت" فإذا نفذ الطلب نقول له "شكرا" أو "أحسننت" أو "بارك الله فيك"، فإذا لم يستجب استخدم الحزم معه بإعطاء الأمر بلهجة قوية ولكن هادئة. لا نعطي أوامر غامضة ولا نسأله سؤالا عند إعطائه الأمر، ولا نعلق على السلوك السيئ عند إعطاء الأمر، ولا نعطي أسبابا لقانون معين أثناء حصول السلوك السيئ، فإن الوقت الذي يجب أن توضح فيه القانون أو القاعدة السلوكية المطلوبة يجب أن تكون قبل وقوع المخالفة أو بعد التوقف عنها وليس أثناءها...

وإن الطفل مثل غيره معرض للسلوك الخاطيء، فهنا كيف يتم إصلاح هذا السلوك في الإسلام؟ هناك عدة أساليب منها:

1. أسلوب المكافأة (التعزيز) أي الثواب: وقد استخدم القرآن أسلوب الثواب والعقاب في تقويم السلوك البشري، فعلى المربي/ة أن يستخدم أسلوب الثواب أو المكافأة لتعزيز السلوك الصحيح الخاضع لمفهوم الحلال، ولا يجب أن نغفل عن مكافأة السلوك الحلال بسرعة حتى يربط الطفل بين الفعل الذي قام به والثواب، وأن نستمر في المكافأة كلما صدر من الطفل نفس الفعل أو غيره، وأن نمدح السلوك الحلال أكثر من مدح الطفل نفسه، فإذا قام الولد بتلبية نداء أمه نقول له: إن طاعتك لأمك عمل صالح يثيبك الله عليه، أفضل من قولك له: إنك جيد وإنك رائع، وإن وضع نجمة حلوة الشكل على كل إجابة صحيحة أو واجب حله يعزز نجاحه وينقله إلى نجاح آخر. وكذلك نستخدم أسلوب الترغيب حينما نطلب من الطفل القيام بعمل لا يحبه ولا يرغب في أدائه، وكان العمل مهماً أن يتعلم القيام به ويعمله، كأن نقول له إذا أكملت واجباتك سأسمح لك باللعب بلعبة يحبها، فهذا يوجد لدى الطفل دافعا للقيام بمهام لا يهواها

ولكنها ضرورية له. ولكن لنتبه أخواتي ونحذر في ثلاثة أمور: الفشل في مكافأة السلوك الجيد، ومعاقبة السلوك الجيد من غير قصد، ومكافأة السلوك السيئ من غير قصد..!!

2. أسلوب المحو (التجاهل المقصود للأخطاء):

هو إهمال السلوك السيئ الذي يقوم الطفل للفت النظر كالإزعاج أو الصراخ، والانتظار حتى يقوم الطفل بسلوك بديل كالتوقف عن الإزعاج والهدوء، عندها نعطي الطفل الاهتمام وإذا لم يتمكن الطفل من معرفة السلوك الجيد الذي نود استبداله فنعلمه إياه عن طريق التلقين، وإذا كان الطفل يضايق إخوانه أو زملاءه وهم يؤدون الصلاة أو يقومون بحل واجباتهم المدرسية ليحصل على اهتمامهم. فنعلمه كيف يؤدي الصلاة معهم، ونعطيه حقيبة وقلما ودفترًا وكتبا ليشترك إخوانه في دراستهم ويقلدتهم وهم يقومون بالكتابة أو القراءة أو أداء نشيد أو ترتيل آية. وإذا كان طالبا في الروضة فأشغليه بواجبات إثرائية.

3. أسلوب العقاب:

مثل الإقصاء والتوبيخ وإظهار عدم الرضا والنتائج الطبيعية للسلوك السيئ في حالة عدم وجود خطورة، فإذا كانت النتائج خطيرة ينتقل إلى اتباع النتائج المنطقية للسلوك السيئ وجزاء السلوك ولا يصح استخدام الضرب في هذه المرحلة... أخواتي الكريزمات: كان هذا عرضاً موجزاً للتعليم ما قبل المدرسة في دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، القادمة قريبا بإذن الله، وأسأل الله أن يستخدمنا في إقامتها وأن نكون من شهودها وجنودها الأوفياء... آمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نجاح السباتين - ولاية الأردن